المحاضرة الثالثة في النحو

أنماط الجملة الاسميّة البسيطة:

أوّلا الإخبار عن المعرفة

لقد ذكرنا في ما سبق أنّ الجملة الاسمية البسيطة هي جملة أحادية الإسناد، أي أنّ الإسناد حدث فيها مرّة واحدة. لأنّ الذي يُخرج الجملة من كونها بسيطة إلى مركّبة هو تكرار الإسناد، وصفة البساطة في الجملة تقتضي صفة الإفراد في طرفي الإسناد المسند والمسند إليه. أو ما يكافئ المفرد في أداء الوظيفة النحوية، كالمصدر المؤوّل، أو ما ذُكر على سبيل الحكاية، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك، في المحاضرة السابقة التي تناولنا فيها الحديث عن طرفي الإسناد في الجملة البسيطة. فما يشترك فيه طرفا الإسناد في الجملة البسيطة هو صفة الإفراد، ولكنّهما يختلفان في التعريف والتنكير، وهما أهم ما يدخل في بناء الخبر.

لأنّه إذا كانت الجملة هي أصغر وحدة كلاميّة، أو أصغر بنية إخباريّة تحمل خبرا مفيدا، وأنّ الوظيفة الأساسية للجملة هي الإخبار، فهذا معناه أنّ بناء الجملة هو بناء للخبر، وصناعة الجملة هي صناعة للخبر، وعناصر بناء الخبر هي عناصر بناء الجملة، والفرق بين مصطلحي الجملة والخبر، أنّ الأوّل يتعلّق بجانب الشكل والتركيب، فالوجه النحوي هنا أظهر وأبين. أمّا الثاني فيتعلّق بجانب المضمون والوظيفة الإخباريّة، لذا يتجلّى فيه الوجه البلاغي .

وإذا جئنا لبناء الخبر، فإنّ الخبر يقتضي مخبرا به ومخبرا عنه، ويكون الخبر مفيدا إذا كان عن معلوم بمجهول، لأنّ الإخبار بالمعلوم أو المعروف لا يفيد، وكذلك الإخبار عن المجهول أو المنكور لا يفيد، لأنّ السامع تهمّه أخبار معارفه. من هنا تظهر أهمّية الزيجة اللغويّة بين التعريف والتنكير في بناء الخبر المفيد. والأنماط التركيبيّة في بناء الخبر التي تتكوّن من مخبر به ومخبر عنه، هي نفسها الأنماط التركيبيّة للجملة المفيدة التي تتكوّن من مسند ومسند إليه. وهما في الجملة الاسميّة المبتدأ والخبر.

وإذا أردنا معرفة الأنماط التركيبيّة في بناء الخبر استنادا إلى عنصري التعريف والتنكير، فإنّ التقسيم الرياضي يعطينا أربعة احتمالات.

الأوّل أن تخبر عن معرفة بنكرة، وهذا هو الأصل، لذلك قالوا الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة وفي الخبر أن يكون نكرة، مثل: الكتابُ مفيدٌ. والجوُّ باردٌ. ولكن الأمور لا تجري دائما على ما يقتضيه الأصل فقد يشترك الطرفان في التعريف، وهذا نمط ثان، كقولك: الله ربّنا، والعربيّة لغتنا. وقد يشتركان في التنكير فنكون أمام نمط ثالث كقولك: سوداء ولود خير من حسناء عقيم. فقد أخبرت عن (سوداء) بـ(خير) وكلاهما نكرة. وبقي الاحتمال الرابع وهو الإخبار عن النكرة بالمعرفة، وهو ما يتعارض مع قانون الإخبار الذي يقتضي أن نخبر عن المعرفة بالنكرة، وهذا ما جعل بعض الدارسين ينفون وجود هذا النمط التركيبي.[1] والحقيقة أنّ لهذا النمط التركيبي وجود في الواقع اللغوي، وفي القرآن الكريم على وجه الخصوص، باعتباره أفصح ما قيل بالعربيّة، وهو وجه من وجوه الإعجاز الربّاني في النحو القرآني، وسنشير إليه في حينه.

1 ـ الإخبار عن المعرفة بالنكرة:

(الجملة الاسمية التي يكون المبتدأ فيها معرفة والخبر نكرة).

هذا هو النمط الأصلي للجملة الاسميّة البسيطة، لأنّ الأصل في الخبر المفيد أن يكون بالنكرة عن المعرفة، ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى على لسان إبليس: ﴿قَالَ أَنَاْ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ (ص، 76).الشاهد قوله: (أنا خير منه)، (أنا): مبتدأ وهو من أعرف المعارف لأنّه ضمير، و(خير): خبر. ومن هذا النمط قوله تعالى: ﴿ ...وأنا لكم ناصح أمين ﴾(الأعراف 68). ومن أمثلته أيضا قوله تعالى:﴿ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ﴾ (البقرة36، والأعراف 24، وطه 123). المبتدأ (بعضكم) معرّف بالإضافة، والخبر (عدوّ) نكرة. وهذا النمط موجود بكثرة وجار على الألسنة، كقولك: (الجوّ بارد، والكتاب مفيد)، لذا لا يحتاج إلى طول كلام وتبسيط.

2 ـ الإخبار عن المعرفة بالمعرفة:

(الجملة الاسمية التي يشترك فيها المبتدأ والخبر في التعريف).

[1] ينظر أحمد مختار عمر، ومصطفى النحاس زهران، ومحمد حماسة عبد اللطيف. النحو الأساسي الطبعة الأولى 1404هـ 1984م، دار السلاسل، الكويت. ص:259.

هذا النمط التركيبي الذي يشترك فيه المبتدأ والخبر في التعريف يشترط فيه أن يكون المبتدأ أعرف من الخبر، فيحمل الخبر الذي هو أقل تعريفا على النكرة، وهنا يتّضح لنا وجه الشبه بين هذا النمط و النمط الأصلي الذي يُخبر فيه عن المعرفة بالنكرة،لأنّه إذا حُمِل الأقل تعريفا على النكرة، كان الانتقال من الأعرف إلى ما دونه تعريفا، أشبه بالانتقال من المعرفة إلى النكرة. وهذا الأمر يدفعنا إلى ترتيب المعارف حسب درجة التعريف. وقد تنبّه العلماء إلى أهمّية هذا المبحث فرتّبوا المعارف، ولكنّهم اختلفوا في ترتيبها، ولا يتّسع المقام هنا لعرض أوجه النظر المختلفة والمفاضلة بينها، بل يكفي أن نذكر الترتيب الصحيح وهو في نظرنا الذي تجري عليه العربية في تراكيبها. وهو كالتالي:

أعرف المعارف الضمير، ثمّ اسم الإشارة، ثمّ العلم، ثمّ المعرّف بأل، ثمّ الموصول. والمراد بالمعرّف بـ(أل) هنا هو مصحوب (أل) التعريفيّة، وهي أل العهديّة، لأنّ (أل) الجنسية لا تفيد تعريفا، ومصحوبها في حكم النكرة، لذا قد يخبر عن الموصول ـ وهو في أدنى درجات التعريف ـ بمصحوب (أل) الجنسيّة كما في قوله تعالى: ﴿ما جئتم به السحر﴾. لأنّ الموصول ما دام أقلّ المعارف تعريفا فلا يخبر عنه إلاّ بنكرة، أو بما هو في حكم النكرة، كالجملة أو مصحوب (أل) الجنسيّة. أمّا الضمير فلا يصحّ الإخبار به لأنّه أعرف المعارف. والعربية قد جرت في تراكيبها على هذا. ومن الإخبار عن المعرفة بالمعرفة في القرآن الكريم ما جاء في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾ (يوسف،90). فقد أُخبر عن الضمير بالعلم في موضعين، الأوّل في (أنت يوسف)، والثاني في (أنا يوسف). وأخبر عن اسم الإشارة بالمضاف إلى معرفة في قوله: (هذا أخي). ومن الإخبار عن اسم الإشارة بما دونه تعريفا ما جاء في قوله قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٥﴾ (الرعد 5). حيث أخبر عنه بالموصول في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ﴾. وبالمعرّف بالإضافة في قوله:﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾.

كما أخبر عن اسم الإشارة في هذه الآية بالجملة في قوله : ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡ﴾. ولكن هذا التركيب لا يهمّنا لأنّه من أنماط الجملة المركّبة.

ومن الإخبار عن العلم قوله تعالى:﴿محمد رسول الله﴾ (الفتح، 29)، حيث أُخبر عنه بالمضاف إلى معرفة. وما دام الضمير أعرف من المعرّف بأل، فقد أُخبر عن المضاف إلى الضمير بالمضاف إلى المعرّف بأل في قوله تعالى:﴿قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى ﴾(طه58). برفع يوم، لأنّ نصب يوم على الظرفية يجعل الخبر شبه جملة، وعليه يخرج التركيب من نمط الإخبار بالمفرد، إلى الإخبار بشبه الجملة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ (الزمر، 67). أُخبر عن المعرّف بأل (الأرض) بالمعرّف بالإضافة (قبضته)، وما يدل على أنّ المبتدأ (الأرض) أعرف من الخبر (قبضته)، أنّه معرّف بـ(أل) العهديّة عهدا حضوريا، ومخصصة بحال مؤكّدة وهي لفظ (جميعا). أمّا الخبر فشتمّ فيه رائحة الظرف، لأنّه بمعنى في قبضته، وهذا ما جعل الفرّاء يجيز فيه النصب. [2]

في قوله تعالى: ((... أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتّقون)) (البقرة 176) نجد جملتين اسميّتين بسيطتين الأولى:(أولئك الذين صدقوا)، أخبر عن اسم الإشارة باسم الموصول. والثانية: (هم المتّقون)، لأخبر فيها عن الضمير بالمعرّف بـ(أل). أمّا اسم الإشارة (أولئك) الثانية أخبر عنه بجملة (هم المتّقون). والإخبار بالجملة من قبيل الإخبار بالنكرة، لأنّ الجمل نكرات.

ومن شواهد النحاة قول الشاعر:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهنّ أبناء الرجال الأباعد [3]

[2] ينظر أبو جعفر النحّاس، إعراب القرآن، الطبعة الأولى 1530هـ 2009م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 66/4.

[3] ـ البيت من شواهد النحاة،ذكره الجرجاوي في شرح الجرجاوي على شواهد ابن عقيل،ص:37.و استشهد به ابن هشام في أوضح المسالك،ج/1،ص:145.

لدينا جملتان بسيطتان هما: (بنونا بنو أبنائنا)، و(بنوهنّ أبناء الرجال الأباعد)، وجملة مركّبة هي: (بناتنا بنوهنّ أبناء الرجال الأباعد). وما يهمّنا هو الجمل البسيطة فقط.

الجملة الأولى: (بنونا بنو أبنائنا)،المبتدأ والخبر معرّفان بالإضافة، ولكن المبتدأ أعرف من الخبر، لأنّ المبتدأ (بنو أبنائنا)، مخصّص بالإضافة مرّتين، أمّا الخبر(بنونا) فمخصّص بالإضافة مرّة واحدة، وما خصّص مرّتين أعرف ممّا خُصّص مرّة واحدة.

ويمكن إثبات قوّة تعريف المبتدأ بطريقة رياضيّة. ولإثبات ذلك نقول: إذا كان المعرفة هو" ما خص الواحد من جنسه ". [4] ويقابله النكرة وهو ما دل على غير معيّن، أو على ما شاع في جنسه، أو أمّته . [5] على حدّ تعبير الزمخشري. ويوضّح ابن يعيش مفهوم الشيوع بطريقة رياضيّة فيقول:" هي كل اسم يتناول مسمّيين فصاعدا. "[6] من هنا يتّضح لنا أنّ درجة التعريف أو التنكير في اللفظ مرتبطة بعدد مسمّياته، بالنسبة للتنكير: كلّما ازداد عدد مسمّيات اللفظ ازدادت نسبة تنكيره، وكلّما قلّ عدد مسمّيات اللفظ قلّت درجة تنكيره، فأقل التنكير ما دلّ على مسمّيين، وأكثره غير محدّد.

أمّا بالنسبة للتعريف: فإنّ درجة التعريف تتناسب عكسيا مع عدد مسمّيات اللفظ، أي كلّما زاد عدد مسمّيات اللفظ قلّت درجة التعريف، وكلّما قلّ عدد المسمّيات ارتفعت درجة التعريف، فأعرف المعارف ما كان عدد مسمّياته واحدا. وهذا ما يوافق تحديد الثمانيني للمعرفة السالف الذكر.

فإذا جئنا لجملة: (بنونا بنو أبنائنا)، فإنّ طرفي الإسناد فيها هما: (بنونا) و(بنو أبنائنا) فإن أردنا تحديد الأعرف ليكون مبتدأ، والأقل تعريفا ليكون خبرا، علينا بتحديد عدد مسمّيات طرفي الإسناد، فإذا افترضنا أنّ قائل البيت له أربعة أبناء، ولكل ابن ثلاثة أولاد، فإنّ للرجل اثنا عشر حفيدا، وأربعة أبناء بالمعنى الخاص لكلمة ابن، أي أبناؤه من زوجته، وستة عشر ابن بالمعنى العام لكلمة ابن، أي الأبناء من الصلب مع الأحفاد. والرجل يقصد بقوله: (بنونا) المعنى العام للكلمة، فعدد مسمّياتها ستة عشر(16)، وعدد مسمّيات لفظ (بنو أبنائنا) اثنا عشر(12). لذا نقول أنّ هذا الأخير هو المبتدأ لأنّه الأعرف على الرغم من تأخّره في الرتبة، وأنّ لفظ (بنونا) هو الخبر لقلّة درجة تعريفه على الرغم من تقدّمه في الرتبة، لذلك نجد

[4] ـ الثمانيني، الفوائد والقواعد، ص:394.
[5] ـ ينظر الزمخشري ، المفصّل ص:22. ومحمد سعيد إسبر وبلال جنيدي، الشامل في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها،ص: 990.
[6] ـ ابن يعيش، شرح المفصّل، 3/ 351.

هذا البيت من شواهد النحاة على أنّ الأعرف هو المبتدأ وليس المقدّم في الرتبة. ونخلص في الأخير إلى أنّه إذا اشترك المبتدأ والخبر في التعريف كان المبتدأ أعرف من الخبر.

تطبيق: استخرج مما يلي الجمل الاسمية التي اشترك فيها المبتدأ والخبر في التعريف ، مبيّنا طرفا الإسناد ومبرّرا صحّته في كل جملة.

1 - ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (الروم 40).

2 - ﴿ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ ﴾ (طه 84).

3 - ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾. (الفتح 4).

4 - ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (هود 18).

الإجابة:

	الجملة التي اشترك فيها المبتدأ والخبر غي التعريف	المسند إليه المبتدأ	المسند الخبر	تبرير صحّة الإسناد
1	ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ	الله	ٱلَّذِى	المبتدأ أعرف من الخبر
2	هُمْ أُو۟لَآءِ	هم	أُو۟لَآءِ	المبتدأ أعرف من الخبر
3	هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ	هو	ٱلَّذِى	المبتدأ أعرف من الخبر
4	هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ	هَـٰٓؤُلَآءِ	ٱلَّذِينَ	المبتدأ أعرف من الخبر

2 ـ أعرب ما تحته خطّ.

قال تعالى: ﴿أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ (الزخرف 52).

وقال:﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ (الملك 20).

وفي قوله: ﴿فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوّٞ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ﴾ (القصص 19).

قواعد أساسية في الإعراب:

1 ـ المصدر صريحا كان أو مؤوّلا يكافئ الاسم المفرد في أداء الوظيفة النحوية.

2 ـ المصدر ينصب بالفعل الواقع فيه. وهو يجرّ الاسم بعده بالإضافة.

3 ـ المصدر النكرة يعمل الجرّ. في ما بعده بالإضافة. سواء أكان ما بعده اسما، أو مصدرا مؤوّلا، أو جملة.

4 ـ إذا حدث اسناد بين معرفة ونكرة، فالمعرفة مبتدأ والنكرة خبر، مهما كانت رتبة كلّ منهما.

5 ـ إذا اشترك المبتدأ والخبر في التعريف كان المبتدأ أعرف.

6 ـ إذا اشترك المبتدأ والخبر في التنكير كان الخبر أنكر.

7 ـ الحال خبر من الدرجة الثانية، لذا فهو يوافقه في كلّ شيء عدا الحركة الإعرابية.

8 ـ الجمل وأشباه الجمل تكافئ النكرة في أداء الوظيفة النحوية، لذا فهي بعد العمدة خبر، وبعد الفضلة حال. والعمدة التي تكون له خبرا هو الاسم المرفوع على الابتداء فقط.

ملاحظة: هذه القواعد ليست خاصة بهذا الدرس، أو هذا التمرين، بل هي عامّة ودائمة، تساعد على الإعراب الصحيح للتراكيب اللغوية.

أ.د. محمد دلوم